أُمَّةُ القُرآن

يَــا أُمَــةَ القُــرْآن حَــانَ المَـوْعِــدُ
اليَــوْمَ يَـوْمُكِ لَيْـسَ بَعْـدُ وَلاَ غَــدُ
نَادَى المُؤَذِنُ فَـانفُضِي عَنْكِ الكَرَى
وَاسْتَقبِلِي فَجْــراً جَـدِيــداً يُـولَــدُ
وَتَجَــدَّدِي فَلَقَـدْ رَأيْتُ المَجْــدَ فِي
هَـذِي الحيَــاةِ لِمَن بِهَــا يَتَجَـدَّدُ !
أيَـامُ عِـزكِ مُشْــرِقَـاتٌ كَـالضحىٰ
وَعُهُــودُ مَجْــدكِ أنْجُـمٌ تَتَــوقَّــدُ
نَـوَّرتِ هَـذَا الكَــوْنَ وَهُـو غَيَـاهب
وَحَملت فِيــهِ مَشَــاعِـلاً لاَتُخْمَــدُ
وَغَمَــرْتِــــه أمْنــاً وَلَم يَـكُ آمنــاً
وَالسّيفُ فِـي أبنَــائِهِ لاَيُغْمَــــدُ !
وَحَكَمْتِ بِـالشُّورَى وَبِـالعَدْل الـذِي
نَــزَلَ الكتَـابُ بِــهِ وَجَـاءَ مُحَمَّــدُ
وَبَنَيْتِ بِــالأخْــلاَقِ مَــالَمْ يَبْنِــهِ
بَــانٍ وَلَمْ يَكُ بــالحُـرُوبِ يُشَيَّــدُ
قَــدْ كُنْتِ فِي أُفْقِ العُلُــومِ مَنَــارَةً
تَسْعَى الـوُفُـودُ إلَى حِمَـاكِ وتَحفِـدُ

قَــدْ كُنْتِ قَـــائِدَةً تَقُــودُ وَقُــدْوَةً
مُثْلى يَسِيـرُ بِهَـدْيِهَـا المُسْتَـرْشِـدُ
مَـا لِي أرَى تِلْكَ المَحَـاسِنَ أدبَـرت
وَأرَى دَمـاً قَـدْ كَـانَ حَيـاً يَجْمُـدُ !
وَأرَى رِيَـاضـاً قَـدْ ذَوَت وَبَـلاَبِـلاً
سَكَتت، وَكَـانَت فِي حِمَـاكِ تُغَـرِّدُ
وَأرَى صُـرُوحـاً قَـد تَـدَاعَت لِلبلَى
فَهَـوت، وَأُخْـرَى بـالـزَّوَال تُهـدَّدُ !
يَشْكُو بَنُـوكِ - وَهُم كَثير - غُـرْبَةً
وَيَسُـومكِ الضَّيمَ الجَبَـانُ المُلْحِـدُ
قَـدْ كُنْتِ بِالقُـرْآنِ صَـرْحـاً شَامِخـاً
وَقُـوىً لَهَـا فَـوْقَ الثـريَّـا مَقْعَـدُ
يَسْعَى لِنَيلِ رِضَـــاكِ كُلّ منَـاوئٍ
وَيَهَـــابُ بَـأسَكِ كُلّ مَـنْ يَتَـــوَدّدُ
غَـابَتْ شَمُـوسُـكِ عَن وُجُـودٍ تَـائِهٍ
وَالبَـدْرُ أجْلَـى مَـايُـرَى إذْ يُفْقَـدُ !
لاَ الـدَّمْعُ أرجَعَ مَـا أضَاعَ خِـلاَفُنَـا
مِنَّـــا، وَلاَ الهَمُّ المُقِيـمُ المُقْعِـــدُ !
فِي كُلِّ فَـاجِعَـةٍ تَهُـزُّ كِيَـانَنَـا
نُـذرٌ بِأسْـوَإِ مَـا مَضَى تَتَـوَعَّـدُ

أجْـــرَاسُهَـــا فِـي كُلِّ قَلْبٍ رَجَّـــةٌ
وَهَـدِيـرُهَـا فِي كُلِّ سَمْعٍ مُـرعِـدُ !
فِي كُلِّ فَـــاجِعَـــةٍ نُقِيمُ مَـــآتِمـــاً
تُنْسَى، وَمُـــؤتَمَـــراً يُحَلُّ وَيُعْقَـــدُ
لاَ القُدْسُ عَادَ، وَلاَ العُـرُوبَة ضَمَّدَت
أوْجَـاعَهَـــا، وَتَجَـاهَلَت مَـنْ يَحْقِـدُ
تَـــاهَتْ سَفِينَتُنَـا، وَضَـل طَـرِيقَـــهُ
مَنْ فِي يَـدَيْـهِ زِمَـامُهَـا وَالمقْـوَدُ !
فِي الأرْضِ أكْثَـــرُ مِـنْ يَـــدٍ بَنَّـــاءَةٍ
وَمَعَـــاولٌ هَـــدَّامَـــةٌ كَـمْ تُفْسِـــدُ
وَبَنُـو الحَيَـــاةِ مَعَـادِنٌ وَجَـــواهِـرٌ
فِيهَـــا المُـــزَيـفُ والنَّفِيسُ الجَيـــدُ
لَـوْ شَـاءَ رَبُّكَ لاَهْتَـدَى كُلّ الـوَرَى
لَكِن حِكْمَتَـــــهُ أبَتْ أنْ يَهْتَـــــدُوا !

* ● *

يَـــا أُمَّـــةَ القُـــرْآنِ هَـــذَا مَـــوقِفٌ
لاَ النّثـر فِيـهِ، وَلاَ القَـــوَافِي تُسْعِـدُ
فِي النَّفْسِ أشْيَـــاءٌ وَفِي أعْمَـــاقِنَـــا
جُـــرْحٌ قَـــدِيـمٌ نَـــازِفٌ لاَيُضْمَـــدُ

لَنْ يُــرْضِيَ لإسْــلاَمَ مِنْ أقَــوالِكُم
إلاَّ سُلُــوكٌ لَيْسَ فِيــهِ تَشَــدُّدُ

الصَّحْـوُ مِنَّــا فِي انتهَــاج سَبِيلِـهِ
وَالصَـدِّ عَمَّـنْ أعْـرَضُــوا وَتَمَـرَّدُوا

الصّحْـو فِي إحْيَـاء شِــرْعَتِـهِ التِي
بِحَــلاَلِهَــا وَحَــرَامِهَــا نَتَعَبَّــدُ

دِينٌ سَمَــا بِــالعَقْـلِ فِي آفَــاقِــهِ
وَاعتَــزّ فِيــهِ الكَــادِحُ المُسْتَعْبَــدُ

قَـدْ كُــرِمَ الإنْسَــانُ فِيـهِ فَلَـم يَعُـدْ
عَبْــداً يُبَــاعُ وَيَشْتَــرِيـهِ السيــدُ !

أعْلَى الجِبَــاهَ فَلَم تَعُـدْ تَهْــوِي إلَى
صَنَمٍ تُـرِيقُ لَــهُ الـدِّمَــاءَ وَتَسْجُـدُ

آيَـاتُـهُ كَـالشَّمْـسِ فِي كَبِـدِ السَّمَـا
مَـاضَــرَّهَـا أنْ لاَيَــرَاهَـا أرمَــدُ !

لاَتُهْمِل الأقْــدَارُ يَــوْمــاً أمَّــةً
لِشَــرَائِعُ اللّــه القَـوِيمَــةِ تَجْحَــدُ

كَمْ أفْلَسَــتْ نُظُمٌ وَأمْسَتْ هَيْكَــلاً
نَخِـراً، وَكَانَت فِي الـرِيَادَةِ تُحْسَــدُ !

لَنْ تَغْتَنِي بَــالْعِلْمِ، وَهِيَ فَقِيــرَةٌ
رُوحــاً، تُــؤلِــهُ عَقْلَهَــا وَتُمَجِّــدُ

لاَصَحْـوَ إنْ لَـم نَـرْتَجِعْ أخْـلاَقنَـا
فَـهِيَ الحَضَـارَةُ، وَالغِنَى وَالسـؤدَدُ
وَالـدِّيـنُ أخْـلاَقٌ، وَخَيْـرُ عُهُـودِنَـا
تِلْكَ التِـي كنَّـابِهَـا نَتَقَيَّـدُ

* ● *

كُلّ الشُّعُـوبِ بَنَتَ شَـوَامِخَ مَجْدِهَـا
تُحَفـاً، وَأوّلُ مَـا بَنَيْنَـا المَسْجِـدُ
فِي ظِلِّـهِ تَجِـدُ النُّفُـوسُ سَكِينَـةً
تَسْمُـو بِهَـا، وَبِغَيْـرِهِ لاَتُـوجَـدُ
قَـدْ كَـانَ مُنْطَلَق البُعُـوثِ وَمُلْتَقى
كُل الـوُفُـودِ، وَكَـانَ فِيـهِ المَـوْلِـدُ
يَكْتَظُّ فِي الأسْحَـارِ خَلْفَ مُحَـدِّثٍ
وَيَـؤُمُّـهُ الـدَّانِي، وَيَسْعَـى الأبْعَـدُ
هَـذِي البُيُـوتُ نُـرِيـدُهَـا مَعْمُـورَةً
وَرِسَـالَـةً مَـوْصُـولَـةً لاَ تُـوءَدُ
وَنُـرِيـدُهَـا حِصْنـاً نَلُـوذُ بِظِلِّـهِ
وَمَحَجَّـةً أبْـوَابُهَـا لاَتُـوصَـدُ
وَوِقَـايَـةً مِنْ كُـلِّ غَـزْوٍ طَـارِئٍ
وَحِمَـايَـةً مِنْ كُلِّ مَـا يُسْتَـوْرَدُ

وَمَســـارِجـــاً فِي كُلِّ لَيْلٍ حَـــالِكٍ
تَهْـدِي إذَا افتُقِـدَ الـــدَّلِيلُ المُـرْشِـدُ

* ● *

هَـذِي أمَـــانِي المُسْلِمِينَ ! فَهَلْ أرَى
يَـوْمـــاً أمَـانِينَـا حَقَـــائِقَ تُشْهَـدُ ؟
وَأرَى طَـلاَئِعَ قَـــوْمِنَـا فِـي وَحْـدَةٍ
مَـرْصُوصَـةٍ يَرْتَـاعُ مِنْهَا الحُسَّـدُ ؟
وَتُشَـامُ فِي الحَسَن الغَيُـور بَـوَارِقٌ
بِـــالْخَيْـــرِ وَاعِـدَةٌ تَغُـــورُ وَتُنْجِـــدُ
يَخْطُـو خُطَى أجْـدَادِهِ فِي نَصْـرِهِمْ
لِلـدِّيـنِ، يُعْلِي صَـرْحَـــهُ أوْ يُسْنِـدُ
وَبَنُو المُلُـوكِ الصَّالِحِينَ عَلَـى هُدًى
يُعْطُـونَ مِنْ أخْـلاَقِهِم مَـا عُـوِدُوا !
فَعَلَى يَـدِيـهِ يُـؤَمَّلُ الصَّحْـو الـذِي
بِسَـــوى قِيَـــادَتِـــهِ لَـــهُ لاَيُحْمَـــدُ
وَهُـــوَ الطَّبِيـبُ – إذَا أرَادَ – لأُمَّـــةٍ
سَـرَطَـانُهَـــا : جَهْلٌ وَفَقْـرٌ مُجْهِـدُ

* ● *

هَـذِي القَـوَافِي ذَوبُ قَلْـبٍ شَـاعِـرٍ
آهَـــاتُـــهُ مِـنْ كُلِّ قَلْبٍ تَصْعَـــدُ !

لَمْ تُلْهِـــهِ اللَّـــذَّاتُ عَنْـكِ وَلاَ المُنَى
أوْ تصْبِـــهُ يَـوْمـــاً حِسَـانٌ خُـــرَّدُ
كَمْ صَـــــاغَ فِيكِ رَوَائِعـــاً وَكَـأنَّـــهُ
قَيْسٌ لِلَيْلَى فِـي المَضَـارِبِ يُنْشِـــدُ
رُجْعَى لِنَهْـجِ اللَّـــهِ أُمَّـــة أحْمَـــدٍ
فَـالعَـوْدُ مِنْ بَعْـد الضَّـلاَلَـةِ أحْمَـدُ
لاَتَطْلُبُـــوا طَـــوْقَ النَّجَـــاةِ بِغَيْـــرِهِ
هُـوَ وَحْـدَهُ فِي النَّـــائِبَـاتِ المُنْجِـدُ
وَالنَّصْـرُ لـلإِسْـــلاَمِ وَعْـدٌ صَـادِقٌ
لاَرَيْبَ فِيـــهِ وإنْ تَـرَاخَى المَـــوْعِـدُ